الفصل التاسع

الجماعة الاولية وظروف الضغط القتالى

تعتبر دراسة الجماعة العسكرية المفتاح الحقيقى لفهم السلوك العسكرى (Shellford, 1973, p. 93) فهى التى تمكن الافراد من استدماج قيم النسق الاجتماعى الجديد الذى التحقوا به وهى التى تساعدهم على التكيف مع قواعده وتعليماته . (Herry, 1965, p. 251).

والجماعة الاساسية فى القوات المسلحة هى جماعة الوجه للوجه وهى تلك التى يعرف افرادها بعضهم بعضا ويعرف قائدها مرؤسيه جميعهم ويتحدث اليهم ويصدر أوامره لهم وجها لوجه . ولهذا فان عدد افرادها محدود وتسمى بالوحدة الفرعية الصغرى .

وتعتبر هذه الجماعة العالم الحقيقى للجندى ، لان حياته وموته مرتبطان بها وقائدها هو اقدم رجل فيها ، وصف ضابطها الاقدم وراء القائد فى كل حركة من حركات الجماعة ، ويصدق ذلك على الكتيبة العسكرية التى تنقسم عادة الى ثلاث أو اربع سرايا يقود كل سرية ضابط أو ضابط صف للمعاونة فى قيادة السرية التى تشبه القيادة الصغيرة وهى التى تتكون عادة من ملازم ورقيب وجندى اشارات وجندى بريد وآخر للاعمال الكتابية والادارية ويعتبر اقدم ضابط صف فى السرية الرجل الرئيسى فيها ويكون بمثابة الوالد فى اسرته الصناعية ويكون عادة برتبة رقيب أو عريف ولهذا فان مكانته ونوعيته افضل مشير لروح واستقرار هذا التنظيم المحارب ولهذا فان ضابط الصف هو أهم رجل فى حياة الجندى .

وتنقسم السرية بدورها الى عدة فصائل يعرف اعضاؤها بعضهم بعضا بالاسم ويقوم ضابط صفها بتلقى الاوامر من الضابط واعطائها لهم . ويقودهم بنفسه الى المعركة بمعنى أن صوته هو الذى يسمع عند اعطاء الاوامر ووجودة هو الذى يبرز فى اوقات الازمات . أما الفرقة فانها اشبه بالقبيلة او العشيرة التى تربط اعضاءها بعضهم بعضا بروابط متعددة تميزهم عن الآخرين وتضم تحتها كل الوحدات السابقة من كتائب وسرايا وفصائل . (Shellford, p. 94)

وقد ظهر فى الكتابات الحديثة عن ظروف الضغط العسكرى مفهوم آخر عن الجماعات الاولية يميزها بصغر حجمها وبحدوث علاقاتها من خلال فردين او اكثر وذلك على النقيض من تلك الشبكة الواسعة التى تتكون من عدة اشخاص . (Little, 1964 pp. 22–25)

وسنتناول فيما يلى دراسة الجماعات الاولية من الزوايا الآتية :

اولا : العوامل الاجتماعية المؤثرة على تكامل الجماعة الاولية العسكرية .

ثانيا : العوامل التنظيمية ودورها فى تكامل الجماعة الاولية .

ثالثا : الجماعة الاولية والظروف المؤدية لانهيارها .

رابعا : الجماعة الاولية والفرار من المعركة .

خامسا : الجماعة الاولية والانهيارات العصبية .

سادسا : الجماعة الاولية وظروف الأسر .

اولا : العوامل الاجتماعية المؤثرة على تكامل الجماعة الاولية :

كان دور الجماعة الاولية فى المحافظة على الكفاءة التنظيمية للنسق العسكرى موضع اهتمام العلماء الاجتماعيين الذين أدت تحليلاتهم الى التوصل الى أن مقدرة الجندى على المقاومة تتوقف على جماعته الاولية (الفصيلة او السرية) ودورها فى الوفاء بحاجاته الاساسية واحاطته بالحب والتقدير من الضباط والجنود وتنظيم علاقاته بالسلطة وكل هذا يؤدى به الى أن لا يكون اهتمامه بذاته هو شغله الاول ، لأن ذلك من شأنه

أن يحطم الوظيفة الاساسية للجماعة الاولية ، كما اظهرت تحليلاتهم ايضا أن قدرة الجماعة الاولية على مقاومة الظروف المحطمة لتكاملها تتوقف على قبول افرادها للرموز الثقافية والسياسية والايديولوجية للمجتمع الاكبر .

الجماعة الاولية العسكرية والمجتمع الاكبر :

من الصعب أن نقول أن اهداف ومعايير الجماعة الاولية تنشأ ذاتيا او بصورة سريعة اذ فى الواقع تنمو ببطء وعن طريق البيئة العسكرية الاكبر والمجتمع المدنى المحيط بها ، ولعل الدور الهام الذى تؤديه الجماعة الاولية هو فرضها لمظاهر السلوك العسكرى فى المعسكر واثناء المعركة وتفسيرها لمتطلبات السلطة للجنود .

وقد تكون الجماعة الاولية عالية التكامل ورغم ذلك فانها تعوق اهداف التنظيم العسكرى لأن تكامل الجماعة الاولية يحقق اهداف التنظيم العسكرى حينما يكون هناك ارتباط بين معاييرها ومتطلبات السلطة العسكرية ، وتعتبر تجربة الوحدات العسكرية المخصصة للزنوج الامريكيين خير مثال لذلك ، فقد كانت معايير المجتمع الامريكى فى الحرب العالمية الثانية تعزز التمييز العنصرى والانعزال السكنى وتوزيع الافراد على اساس الجماعات السلاليه فى وحدات عسكرية منعزلة ، وقد أدى ذلك الى نمو جماعات أولية ذات معايير دفاعية خاصة لا تتفق مع متطلبات التنظيم الاكبر ، وفسرت معايير الجماعة الاولية المنعزلة تصرف السلطات العسكرية النابع من قيم المجتمع الاكبر على أنه امر يضعف من قيمة عزتهم الشخصية فلم تتحقق بالتالى الفاعلية المتطلبة لهذه الوحدات .

ويعنى ذلك أن معايير الجماعة الاولية قد تضعف معايير المجتمع الاكبر غير أنه ليس هناك أساس فى النظرية السوسيولوجية يؤيد ذلك نظرا لوجود مثال آخر يناقض تجربة الزنوج الامريكيين ، فقد كان من المتوقع أن تولد الوحدات الامريكية اليابانية التى حاربت فى الحرب العالمية الثانية معايير دفاعية كالتى كانت عند الزنوج ، ولكن العكس تماما هو الذى حدث اذ كانت معايير الجماعة الاولية مرتبطة بفاعلية مع بناء السلطة ، وأظهرت الولاء للولايات المتحدة الامريكية .

وقد أدت عملية وقف التميز العنصرى فى القوات المسلحة الامريكية الى عدة آثار هامة بالنسبة للادارة العسكرية وعملت على مراجعة علماء الاجتماع للنظرية السوسيولوجية الخاصة بالتكامل الاجتماعى ودوره فى كفاءة التنظيم العسكرى ، خاصة بعد أن نجحت تجربة ادماج الزنوج فى سلاح البحرية واشتراكهم مع كتائب المشاة فى المراحل الاخيرة من الحرب العالميه الثانية (Janowitz, 1965, p. 81)

وتصور الجماعات الاولية فى الجيش الالمانى تشبع افرادها بالايديولوجية السائدة فى المجتمع وتمسكهم بها مما كان له أكبر الاثر فى التخفيف من الروح الانهزاميه كأثر من آثار الحرب .

الخلفية الاجتماعية المشتركة :

تساعد الخلفية الاجتماعية المشتركة على تنمية علاقات اجتماعيه متشابكه بين الجنود كما تساعد الخبرة المشتركة على توفير الاسس التى تمكنهم من الاستجابة للمخاطر العسكرية ، وقد تبين للباحث من خلال دراسته السوسيومترية التى اجراها على افراد سريته أثناء حروب الاستنزاف وبناء قواعد الصواريخ أن العاملين الاساسيين اللذين شكلا خريطة العلاقات الاجتماعية بين المقاتلين هما الانتماء الى اقليم واحد مع الخبرة المشتركة المكتسبة من الاشتراك فى حرب ١٩٦٧ .

الروابط العائلية :

يرى السوسيولوجيون انه حينما يقوى أثر الجماعه الاولية المدنية تضعف تأثير الجماعة الاولية العسكرية ولهذا فان الالمان قد استغلوا هذا العامل فى محاولة للحفاظ على تكامل الوحدات العسكرية وقد فكر الجنود الالمان فى الاستسلام الجماعى فى نهاية الحرب نتيجة لتراكم الخبرات الاسرية وضغطها عليهم وحاجتهم الى التأييد العاطفى تحت ظروف الحرب مما ادى الى اضعاف الجماعة العسكرية وقد حاولت القيادة العسكرية الالمانية الحيلولة دون حدوث أيه عوامل من شأنها أن تؤثر على الجنود فى الجبهة فأعطت تعليمات مشددة الى الاسر الالمانية تحرم عليهم فيها

الاشـــارة فى الرســـائل الى كل ما من شأنه أن يوهن من عزيمه الجنـــود وشددت الرقابة على هذه الرسائل ، وحفاظا منها على التوازن النفسي للجنود اثناء اشتداد المعارك القتالية أرسلت العديد من الخطابات للجنود الذين لا أسر لهم تحتوى على معانى انسانية موجهة من بعض الرسميين فى الحكومة وذلك لكى تمدهم بتأييد اضافى قد لا تستطيع الوحدات العسكرية أن تمدهم به .

ولعب استغلال القيادة العسكرية الالمانية لعامل الروابط الاسريـــة دورا هاما فى تجنب حدوث تفكك فى الوحدات المقاتلة ، اذ تبين لها فى نهاية الحرب أن الجنود لم يكونوا يعودون الى وحداتهم بعد انتهاء اجازاتهـــم الميدانية وفسروا ذلك باشتداد حدة الصراع بين الولاء للجماعة العسكرية والجماعة المدنية أثناء فترة الاجازه وثقل دور الجماعه الاسريه فى غيـــاب اتصالات الوجه للوجه بين الجنود وبعضهم البعض — بالاضافة الى تفكير الجنود المستمر فى الحرب واحتمالات الموت أو الاصابة مما أدى الى زيادة عدد انهاربين فى فترة الاجازة ، لذلك فان القيادة الالمانية قد نبهت على الجنود بانها تحتفظ بتسجيلات دقيقة عنهم وعن عائلاتهم وانهم لو فكروا فى الهرب فان العقاب لن يقتصر عليهم فقط بل سيمتد بشدة الى عائلاتهم بعـــد انتهاء الحرب ، وقد لجأت القيادة الالمانية الى هذا الاسلوب بعد أن زادت حدة قلق الجنود بسبب احتلال العدو للمناطق التى تقيم فيها عائلاتهم .
(Shills, 1948, p. 288)

ثانيا : العوامل التنظيمية ودورها فى تكامل الجماعة الاولية :

(١) الابعاد الفنية لانساق الاسلحة :

تؤثر الابعاد الفنية لانساق الاسلحة على تكامل الجماعة الاوليـــة العسكرية ... فأطلاق النيران من قبل فرد واحد أو من قبل الافراد كفريق له دور فى هذا التكامل ، كما أن انساق الاسلحة التى تعتمد على التجـــاور المكانى للافراد تساهم فى كثافة الاتصال والتفـــاعل بين افرادها اثناء اداء مهامهم ولهذا فان درجة التكامل بين افراد احدى الفواصات الذين يعملون فى تجاور مكانى تختلف فيه درجة التكامل بين افراد وحدة المشاة المنتشرين على امتداد عدة كيلو مترات . كما أن الموقع المكانى لكل طيار فى احـــدى الطائرات يمكن أن يعزز فرص التفاعل بين الطيارين مما يؤدى بدوره الى التأثير على انجازهم لمهامهم . (Kipnis, 1957, p. 263)

ولا يمكن تجاهل اهمية دور عنصر التجاور المكانى فى تكامل الجماعة الاولية فقد يرغم الجنود تحت ضغط نيران المدفعية الى اللجوء للمخابىء أو الملاجىء لحماية انفسهم من هذه النيران ويؤدى استمرارهم فى هذه المخابىء لفترة طويلة الى تعزيز الخوف من الموت مما يؤثر على تكامل علاقات الجماعة الاولية فالجندى المختبىء فى خندقه لعدة أيام يكون قلقا على حياته وتكثر احتمالات فقده الأمل فى النجاة ويسهل عليه بالتالى قبول انفصاله عن جماعته .

وقد اثبتت الدراسة التى أجريت عن سلوك الجيش الالمانى المتراجع فى شمال افريقيا عام ١٩٤٣ وفى فرنسا والمانيا فى سبتمبر وأكتوبر ١٩٤٤ ومارس عام ١٩٤٥ أن الصعوبات التكتيكية لم تنجح فى تحطيم الوحدات المقاتلة لان الانسحاب كان منظما كما كان هناك تأكيد كبير على تكامل السرايا المقاتلة .

ويعنى هذا أن الجيش المنسحب قد ينهار اذا كان مفتقدا للتنظيم واذا فقدت القيادة سيطرتها على الجنود الى الدرجة التى ينفصلون بها عن وحداتهم أو حينما يستطيع تدخل العدو أن يعزل عددا كبيرا من الجنود عن جماعاتهم الاساسية . (Shills, p. 288)

وتصور تجربة الانسحابين المصريين فى حربى ١٩٥٦ و ١٩٦٧ صدق ذلك فعلى الرغم من محاولات صبغ الانسحاب فى حرب ١٩٥٦ بالصبغة الاستراتيجية الا أن الحقيقة كما يصفها العسكريون انفسهم توضح ان السرعة التى تم بها الانسحاب من سيناء ادت الى فوضى والى فقد السيطرة على القوات وكانت هذه الفوضى على مستوى القيادات والوحدات وتم معظم الانسحاب على الاقدام لمسافة متوسطها ٢٠٠كم اما قرار الانسحاب فى حرب ١٩٦٧ فقد كان قرارا ارتجاليا لم يمهد التمهيد اللازم سواء من ناحية المكان الذى تنسحب اليه القوات أو السياسية العامة التى كان يجب أن تتبع فى ادارة المعركة مما ادى الى تعرض عشرات الالوف من المركبات التى كانت تحمل الجنود والاسلحة الى هجمات العدو بالاضافة

الى حوداث الطريق العادية ولفظ آلاف الجنود المصريين انفاسهم الاخيرة في ظروف غير انسانية من جوع وعطش وتعرض لضربات شمس دون اى هدف حققوه وحينما وصلت القوات المنسحبه الى اماكن عبور القناة تكدست الاف المركبات وكان من الصعب ايقاف هذا السيل الجارف المضطرب خاصة بعد أن فقدت السيطرة كلية على الوحدات والتشكيلات .

وقد يكون الأمر مختلفا الى درجة كبيرة لو تمت عملية انسحاب القوات كوحدات وتشكيلات منظمة تأتمر بأوامر القادة والقيادات وتنفذ التعليمات بطريقة عسكرية صحيحة او حتى لو كانت فى حالة بسيطة من الترابط والفاعلية (الحديدى ص ٤٥ — ٤٧ ، ١٩٤ — ٢٠٠) .

(٢) تنظيم الوحدة ونظام الاستعواض :

تهتز كفاءة الوحدات العسكرية حينما لا يعرف رجالها بعضهم بعضا كما انه لاتكون النتائج مضمونة اذا حاول احد الضباط او ضباط الصف ان يقود الرجال الى معركة وهو لم يتعامل معهم من قبل ، وبناء على هذا فانه يسهل تفسير هذه الحوداث التى تبين انهيار الطاقم الجوى بسبب فقد احد افراده وكيف ان الاحتكاك القليل بين الجنود المحمولين جوا فى عمليات الغزو النورمندى كان عاملا ناجحا فى تكاملهم حينما تعرضت وحداتهم للانهيار .

ويرى جانوتز انه طالما أن القوات المسلحة تحتاج الى مقاتلين وليس لافراد فانه لابد من اجراء تغييرات فى نظام الاستعواض بها على الرغم من الصعوبات التى قد تجدها فى امكانية الاستيفاء المرن لدفع الاستعواض ففى الوحدات التى يجب أن تكون فى حالة من الاستعداد المستمر والسريع يجب أن يعتمد نظام الاستعواض بها على الوحدة وليس على الفرد وأن يتم التركيز على حركة التشكيلات التكتيكية بمعنى أن الوحدة يمكن ان تتحرك خارج .. مواقعها ككل وتعود اليها ككل ايضا .

ويفسر نظام الاستعواض كوحدة اسباب صمود الجيش الالمانى فى مواجهة الزيادة فى الافراد والقياد لقوات الحلفاء ، فقد وجدت القيادة

الالمانية أن الحفاظ على كفاءة الوحدات المقاتلة يتم عن طريق اعادة تجميع الخبرات وان الجماعة التى حققت نصرا معينا فى موقع ما يجب الا تحل وان تظل كما هى ولهذا فقد كان افراد الفرق المقاتلة التى تنسحب من الجبهة يعودون اليها كاستعواض فى وحدة .. واذا انضم افراد جدد اليها فان هذا يتم وهم خارج الجبهة حتى تكون امامهم الفرصة فى التكامل معها قبل أن يذهبوا للقتال فى الجبهة .

هذا وقد تدهور تكامل الجماعة الاولية الالمانية فى اواخر الحرب فى الوحدات المشكلة حديثا وذلك لانها كانت تتكون من المجندين الجدد والشاردين ورجال القوات الجوية الذين اجبروا على تركها والذين احسوا بفقد مكانتهم اثر هذا التغيير وكذلك رجال البحرية الذين تحولوا الى سلاح المشاة لمواجهة احتياجاته الطارئة وعمال المصانع القدامى والجنود المتزوجين منذ فترة طويلة الذين كانوا فى الاحتياط خلال فترة الحرب ، وواضح بالطبع تنوع وتغاير هذه الوحدات فى خلفياتها واعمارها ، وكان من غير الممكن أن تكون هذه الوحدات ذات كفاءة لانه لم يتوفر لافرادها الوقت الكافى لكى يعتاد كل منهم على الآخر او ان ينموا مع بعضهم البعض علاقات اجتماعية قوية ولهذا انهارت هذه الوحدات ومن امثلتها انهيار الكتيبة ٢٧٥ الالمانية قبل بداية الهجوم عليها .

ويعود انهيار الوحدات المصرية فى حرب ١٩٦٧ فى بعض جوانبه الى الفكرة التى نشأت مؤخرا والتى طبقت دون أن توضع تحت الاختبار لاثبات صلاحيتها وهى فكرة (الفتح التعبوى للقوات) والتى تعنى مضاعفه حجم قوات الجيش الى ما يزيد عن الضعف فى اقل وقت ممكن فبعد اعلان رفع درجة استعداد القوات المسلحه الى الحد الاقصى بدىء فى استدعاء المسرحين من الخدمة العسكرية ليكون منهم الاحتياطى الاستراتيجى للدولة ، فى شكل وحدات وتشكيلات مقاتلة تكون جاهزة بعد تنظيمها وتسليحها وتدريبها تدريبا شاقا مركزا ــ للاشتراك فى مهام قتالية ، ولكن رؤى أن هذه القوات التى يطلق عليها القوات الاحتياطية ، نظرا لانها مشكلة من الجنود المسرحين المنقولين الى الخدمة الاحتياطية يستغرق وقتا لا تتحمله ظروف الحرب

لاعدادها وتدريبها ، فقد اقترح تطبيق عملية الفتح التعبوى لتفريخ وحداته وتشكيلات ميدانية من بعض الوحدات العاملة ، بمعنى أن اللواء المشاة المكون من ثلاث كتائب كان من الممكن أن يفرخ فرقة مشاة مكونة من ثلاثة الوية وذلك بأن ينضم من الجنود المسرحين الى كل كتيبة ما يكفى من الناحية العددية لتصبح هذه الكتيبة لواء من المشاة ، ومع توفير الاسلحة والمعدات اللازمة له ، نجد أن الكتيبة العاملة قد اصبحت لواء كاملا ؛ ثلث جنوده من القوات العاملة موزعين على الوحدات الفرعية الصغرى ، والثلثان من جنود الاحتياطى الذين استدعوا للخدمة .

وقد تبدو هذه الطريقة وكأنها ضاعفت من حجم الجيش عدة مرات مادامت مخازن الاسلحة والمعدات قادرة على التجاوب مع هذا الحجم الجديد ، لكن الواقع أن نوع الوحدات الجديدة كان دون المستوى القتالى اللازم بكثير فالجنود المسرحون لم يتيسر لهم التدريب اللازم ، او حتى لم يتم استدعاؤهم فى ظروف مريحة لاحوالهم الاجتماعية ، وكان من المتوقع اندماجهم مع زملائهم فى الوحدات الصغرى ، ولكن ذلك لم يتحقق لقصر الفترة الزمنية التى انضم فيها المسرحون الى الوحدات المقاتلة وللسرعة التى تم بها ذلك وذلك على النقيض تماما من نظام التعبئة الاسرائيلى البالغ الدقة فى تفاصيله والذى تتكون الوحدة الاحتياطية فيه عند استدعائها من افراد يعرف بعضهم بعضا وغالبا ما يكونون ابناء حى واحد او مدينة واحدة ويقومون بتدريبهم الشهرى والسنوى معا ، تحت قياداتهم الثابتة التى تعرف كل شىء عنهم . (الحديدى ص ١٥٤ ــ ١٥٨)

٣ ــ تزايد الخطر واهمية المهمه :

يتأثر التكامل الاجتماعى للجماعة الاولية العسكرية بتزايد الخطر الذى تواجهه وبأهمية المهمة المكلفة بها ، وتكمن وظيفة الجماعة الاولية فى مثل هذه الظروف وفى الوحدات التى تتطلب يقظة مستمرة ليس فى ان تعد الفرد لضغوط المعركة فحسب بل فى تدريبه ايضا على مقاومة التوترات التى قد تؤثر على حالة الاستعداد للعمليات .

٤ ــ أداء قادة الوحدات الصغرى :

يؤدى النمط القيادى الذى يضع فى اعتباره احوال مرؤسيه الجسمية والاجتماعية والنفسية الى التقليل من أى توترات قد تعوق الارتياح والرضا العام داخل الوحـدة ،وقد تبين من احدى الدراسـات التى أجريت على بعض القوات الجوية الامريكية ان معنويات افرادها وارتياحهم فى مواقفهم كان ذلك مرتبطا بالاتجاهات التى تعكس اهتمام قائدها بالعلاقات الانسانية واتصالاته بأفراد الوحدة وحساسيته لاحوالهم الشخصية ولمعاييرهم الاجتماعية مما يكون له أثر قوى على العمل بالوحده (Medalia, 1955, pp. 348—52) ويعنى هذا ان هناك ارتباطا بين الفهم التعاطفى والعلاقات الانسانية وبين الكفاءة الفنية للوحدة .

ولكن دراسه ستيوارت آدمز Adams أوضحت ان المناخ الاجتمـاعى الانسـانى فى الوحدة العسكرية قد يؤدى الى نتائج عكسية تؤثر على كفاءتها الفنيـة (Adams, 1954, p. 421) ولهذا فان هاتشن Hutchin فـلدر Fielder قد اقترحا على القـاده ان يكونوا على اتصـال قوى بمرؤسـيهم النشطين فى اداء اعمالهم وان تكون هناك مسافة اجتماعية كبيرة بينـهم وبين مرؤسيهم غير النشطين فى اداء اعمالهم .
(Hutchin, pp. 397—400)

ولعل من اهم العوامل التى تؤدى الى تكامل الجماعة الاولية العسكرية أن يقوم القائـد بابراز المواهب القيادية الكامنة فى وحدتـه وينجح القائد فى ذلك اذا استطاع أن يخلق البيئة والمواقف التى تظهر هذه المواهب من خلالهـا .

وقد يحدث عادة أن يؤدى اهتمام القادة برجالهم الى تعرضهم لضغوط من جانب رؤسائهم الذين يهتمون اكبر الاهتمام بالكفاءة القتالية ولو على حساب العلاقات الانسانية ، وقد ابرزت دراسـة هالبن Halpin آثـار ذلك ، وتبين له ان هناك ارتباطا سلبيا بين التقدير الاجتماعى لقائد احدى الوحدات الجوية المقاتلة من قبل مرؤسيه وتقييم انجازه القتالى من جانب

رؤسائه مما يؤكد أهمية تحقيق التوازن بين دور القائد كرئيس وكمرؤس في نفس الوقت (Halpin, 1954, pp. 19—22)

ثالثـــا : الجماعة الاولية والظروف المؤدية الى انهيارها :

تؤدى الحرب الحديثة فى جماعات صغيرة ويمكن للجندى فيها ان يتخذ قرارا يؤثر على حياته عندما يوازن بين واجبه وولائه للجماعة وبين حرصه على الحياة والبقاء والنجاة بنفسه ، فالمعركة قد تتأخر لاســـابيع او حتى لشهور ، وليس هناك اليوم مقدمة او مؤخرة او منطقة امان ، وميدان المعركة محدود وقليلا ما يرى الجندى المحارب اكثر من دبابة او جندى آخر فالعدو غير منظور ويظهر نفسه بالنيران فقط .

وفى مثل هذا الموقف يمكن للجندى أن يتخذ قرارا معينا ، وقد يستطيع ان يتجنب الاضطلاع بدور فى المعركة والهروب من دائرة الخطر فكل الظروف تساعده على ذلك .

وهناك نوعان من الجنود : اولهما : يمثله ثلاثة ارباع افراد القـــوات المسلحة وهـــم الذين لايضـــطلعون بدور فعلى فى المعركة ، فهم قوة عمل خاضعة للقانون العسكرى تمنع بمقتضاه من التهرب او ترك مكان العمل ، وموضوع الروح المعنوية بالنسبة لهم هو السلوك الجيد والقدرة على العمل ودماثة الخلق وما الى ذلك من المعايير التى يغلب عليها الطابع المـــدنى . واهم الضغوط التى يتعرضون لها هى احتمالات الوقوع فى شراك العـــدو وقناصته وخوفهم من تعرض منـــاطقهم المدنية واسرهم لغارات العدو ، وتحتوى الكتائب العسكرية على العديد من الجنود ذوى المهـــارات العقلية والفنية والهندسية ولكنهم تحت ظروف الحرب الحديثة ليس لهم الا مـــا يدافعون به عن انفسهم او أن يستغرقوا فى التدريب الذى قد لا يكون متصلا بمهنهم الاصلية .

أما النوع الثانى من الجنود : فهو الجندى المقاتل الذى تقاس روحه المعنوية بالقدرة على الاداء فى المعركة الفعلية والاســـتمرار فى هذا الآداء

تحت ظروف العمليات والخوف والارهاق ، ويعتمد هذا كله على قـــدرته العقلية وخلفيته الاجتماعية والنفسية ودرجة احتوائه فى جماعته الاوليـــة وصلته بها وبقائدها ، ولهذا فاننا سنحلل فيما يلى موقف الجماعة المقاتلة تحت الظروف المؤدية الى انهيارها .

كيف يتحقق للجماعة البقاء تحت الظروف الضاغطة :

لكى تظل الجماعة حيه فى ظروف مؤدية الى انهيارها فلابد أن يكـــون هناك وضوح فى نوعين من البناء أولهما ، بناء الميدان وثانيهما : بناء الجماعة فحينما ينشأ الموقف الضاغط تحدث مشاكل غير عادية يكون فيها هذان البناءان غير مناسبين لهذا الموقف ولا يعرف الافراد ماذا يجب أن يفعلوه لكى يبقوا أحياء . (Torrance, 1954, pp. 751—755)

والمتتبع لاحداث حرب ١٩٦٧ يستطيع أن يدرك بســـهولة عدم وضـــوح هذين البناءين حتى قبل ان تأخذ الاشتباكات بين القوات المصرية والاسرائيلية شكلها الفعلى ، ويمكن تحليل هذين البناءين على الجبهة المصرية على النحو التـــالى : ـــ

١ ـــ بنـــاء الميدان :

يقصدببناء الميدان درجة وضوح الموقف القتالى الذى يؤدى الى أن تسلك القوات المحاربة السلوك الصحيح الذى يتوقف عليه حياتها ، ولهذا فـــانه حينما تواجه الجماعة موقفا ضاغطا فانها اما أن تسلك هذا السلوك الصحيح او تتصرف بسلوك عشوائى يقوم على المحاولة والخطأ او تنمو لديها مشاعر اليأس الذى يقود عادة الى الاستسلام للعدو ، وقد كانت كل الدلائل تشير الى عدم وضوح بناء الميدان على الجبهة المصرية وذلك على النحو التالى :ـــ

(أ) كانت الخطة الموضوعة للدفاع عن سيناء تعتمد اعتمادا اساسيا على القوات العاملة النظامية الموجودة فى كل وقت والتى يجرى تدريبها كل عام حسب الخطة السنوية لتدريب القوات المسلحة وخصصت التشكيلات الموجودة فى سيناء ومنطقة قناة السويس

لاحتلال النسق الدفاعى الأول والثانى والتمسك بهما ، اما قوات النسق الثالث وقوات الاحتياطى العام فكانت خارج حدود هذه المنطقة ، وكان يطلق عليها (المنطقة العسكرية الشرقيه)ومعظمها فى المنطقة المركزية (منطقة القاهرة) .

وحينما اعلنت حالة الطوارىء صدرت الأوامر لقوات النسق الثالث والاحتياطى العام والعديد من الواحدات الأخرى المدعمة للانساق الثلاثة وكانت فى منطقة القاهرة بأن تأخذ اوضاعها فى سيناء ، ولكن هذه التحركات تمت بسرعة ونظرا لعدم خبرة هذه القـــوات بمثل هذه التحركات الطويلة فقد عانت معاناة شديدة ، ولم يكن هناك غير طريقين صحراويين همـــا طريق القـــاهرة السويس والقاهرة الاسماعيلية فازدحم الطريقان ، وتعطلت مركبات كثيرة على طولهما وحينماأمطرت السماء فى يومين متتاليين اثناء التحرك لم تكن المركبات مجهزة بمساحات للامطار مما ادى الى وقوع حوادث كثيرة .

(ب) لم يكن التخطيط للقتال متضمنا الدفاع المكثف عن منطقـــة شرم الشيخ وصدر قرار فجـــأة بالدفاع عن رفح ، ولم يكن الوقت كافيا لدراسة المنطقة الجديدة ولم يكن قد بذل أى مجهود لدراستها منذ عام ٥٦ وترتب على ذلك أن تحرك لوائين مشاة كانا مخصصين أساسا للدفاع عن العريش وعاشا فى دفاعاتها حوالى العـــام مـــع بعض الاسلحة المدعمة لها واضـــطر الحال تبعا لذلك الى تخصيص لواء آخر جديد ممن شملتهمخطة الفتح التعبوى ولو كان هذا القرار صدر منذ فترة بعيدة لأمكن تحقيق الهدف منه وقد كان ساسيا ـــ ولأدى الى شعور القادة والقـــوات بالهدوء والاستقرار والراحة المعنوية .

(جـ) حينما صدر قرار بسحب قوات الطوارىء الدولية ادى الالحاح فى تنفيـــذه الى تخبط فى القرارات العسكرية وطلب من القـــوات

المسلحة وقتها اغلاق مضيق خليج العقبة ، ولكن خطط الدفاع عن منطقة شرم الشيخ كانت قد تراكمت عليها الاتربة اذ كانت محفوظة فى الملفات فىمكاتب القيـــادة العامة لاتلقى العنـــاية والمراجعة منذ عام ١٩٥٦ حيث لم تكن هناك قوات مخصصة بالتحديد ـــ لانوعا ولاحجما ـــ لهذه الجبهة المنعزلة ولم يكن القيام بالاستطلاع مسموحا به ، ولتنفيذ القرار بالسرعة الواجبة أنشىء جسر جوى بين مطار الماظة ومنطقة شرم الشيخ لتنقل عليه وحدة متكاملة من رجال المظلات وتحركت فى نفس الوقت المدافع والدبابات . . . والمعدات التى تقرر استخدامها والتى لم يكن نقلها بطريق الجو ممكنا ووجدت هذه الوحدات صعوبة كبيرة فى الوصول الى هذه المنطقة البعيدة حيث تعطلت مئات المركبات على طول الطريق وكانت الاحوال الادارية للافراد سيئه ولم يتم وصولها الا بعد بضعة أيام .

وعندما حدث هذا القدر من الارتباك فى نقل هذه القوة صدرت تعليمات اخرى بنقل لواء من المشاه الى ميناء الطور ليكون قاعدة لقوة شرم الشيخ وامتدت مسئوليـــة هذا اللواء الى الفرقة التى دفع احدى كتائبه اليها ، ولهذا لم يكن غريبا ان تنتشر مركبات هذا اللواء وهى معطلة على طول الطريق بعد التخبط الذى ساد فكرة ارسال هذا اللواء وتبع ذلك اصدار اوامرمتضاربة ، ولم يصبح له أية فعاليةحقيقية الا بعد فترة طويلة من الزمن .

(د) حينماثارت الشكوك حول احتمال هجوم القوات الاسرائيلية على المحور الجنوبى للعمليـــات مطوقة القوات المصرية صـــدرت الاوامر بدعم قوات هذا المحور بفرقة مشاة ولواء مدرع وكان هذا بمثابة التزام جديد لم تتضمنه الخطة الاصلية ولم تكن مستعد لمواجهته الا باستخدام الاحتياطى العام . وســـاعدت عمليـــة الفتح التعبوى على ايجاد حل لهذه المشكلة من الناحية الشكلية

(هـ) ادى تجاوز الخطط الموضوعة بصفة عامة الى انتشار القوات على مواجهات لم يكن معمولا لها حساب من قبل . ولم تدرس الدراسة الكافية مما ادى بدوره الى ارباك خطة الدفاع الجوى التى امتدت مسئوليتها الى رقعة كبيرة متباعدة تحتاج الى موارد اكبر بكثير من تلك التى كانت متيسرة لها فى ذلك الوقت .

(و) فى ١٩٦٧/٦/٢ عقد اجتماع سياسى عسكرى توقع فيه رئيس الجمهورية احتمال هجوم اسرائيل على مصر فى موعد اقصاه ٤ او ٥ يونيو وبنى توقعه على توقيت وصول القوات العراقية للاردن وكان تصوره أن اسرائيل ستبدأ بضربة جوية ضد الطيران والدفاع الجوى المصريين لاخراجهما من المعركة وصدر قرار فى هذا الاجتماع باخلاء المطارات الامامية فى سيناء لكن كل ما حدث فى هذا الاجتماع لم يتجوز جدران القاعة التى عرض فيها فغوجىء الجميع بهجوم اسرائيل يوم ١٩٦٧/٦/٥ .

(ز) قبل الهجوم الجوى الاسرائيلى وقع اشتباك قبله بساعة ونصف على موقع ابوسيس استولت فيه القوات الاسرائيلية على هذا الموقع بعد اشتباك قصير بالنيران ، وارسلت معلومات هذا الاشتباك الى الجبهة والى القاهرة ، وكان من الممكن أن يتغير الموقف لو ابلغت معلومات هذا الاشتباك بطريقة فورية وقدرت القيادات اهميته بالمبادأة والدفاع الفورى لان ذلك كان يمكن أن يؤثر على التخطيط الذى وضعته القوات الاسرائلية لتدمير القوات الجوية المصرية .

(ح) حينما بدأت الاشتباكات كان بناء الميدان قائما تماما ، فقد كان القائد العام متوجها الى الجبهة لزيارة القوات فى نفس الوقت الذى كانت تهاجم فيه الطائرات الاسرائلية المطارات المصرية وكان معه قائد القوات الجوية وكبار المعاونين ، وكان قائد الجبهة وقادة التشكيلات فى انتظاره وهم يبعدون عن مراكز قياداتهم ويكافحون للعودة اليها دون استخدام الطائرات

الهليوكوبتر التى جاءت بهم وكان الجنود يأتمرون بأوامر صغار الضباط الذين بقوا معهم .

(ط) حينما صـــدر قرار الانسحاب لم يرجع فيه الى المســـتشارين والمحترفين الذين ظلوا جاهلين به فترة من الوقت الى أن احسوا برد فعله عن طريق المصادفة ، وحينما حاولوا الأخذ بزمام الموقف لم يتمكنوا من ذلك .

(ى) كانت انباء الاشتباكات فى سيناء تصل الى القاهرة مشوشـــة وغير كاملة واحيانا متناقضة وغير سليمة ولم يكن هناك اسلوب لنشر المعلومات عن الموقف بطريقة منظمة على القيادات وفى باقى الجبهات وكان نقل هذه المعلومات يعتمد على الصـــلات الشخصية مما ادى الى انتشار القلق والتوتر .

(ك) حينما انسحبت القوات للقاهرة لم يكن معروفا بالتحديد أسباب عودتها المبكرة وكانت فى حالة سيئه وانهاك بدنى ونفسى نتيجة لتعرضها للقصف المستمر من قبل الطيران الاسرائيلى اثنـــاء تحركها وتدفقت هذه القوات على القاهرة دون عمل أى ترتيب لاستقبالها وتنظيم ايوائها فاكتظت السيارات فى الطرق الرئيسية وتجاوزتها الى شوارع المدينة . . وسادت الفوضى وفقـــدت السيطرة على الوحدات والوحدات الصغرى .

٢ ــ بنـــاء الجماعة :

نقصد ببناء الجماعة ان يكون هناك نمط مستمر من الاعتماد المتبادل والاتصالات بين اعضاء الجماعة ، وتتوقف مقدرة الجماعة على الاستمرار تحت الظروف الضاغطة على مهارتها فى تنظيم جهودها لأن الخطر المشـــترك ليس كافيا لربط افراد الجماعة بعضهم بالبعض الآخر .

وتتبع بناء الجماعة على مســـتوى الجبهة المصرية فى حرب ١٩٦٧ يوضح الآتى :

(أ) من المعروف أنه يجب أن تعمل الوحدة أو التشكيل كفريق واحد متجانس متفاهم ، ويأتى هذا التفاهم والتجانس اثناء المدة التى يتم فيها اتصال القادة بمرؤسيهم فى الظروف المختلفة والمتغيرة ليتعرفوا على طبائعهم وخصائصهم ولكن الذى حدث فى حرب ١٩٦٧ هو أن الاوامر قد صدرت بتغيير عدد كبير من القادة الذين حققوا مثل هذا التفاهم والتجانس وعين بدلا منهم قادة جدد قليلوا الخبرة بسيناء ودفاعاتها وطوبوغرافيتها وبعضهم كانت قد انقطعت صلته بالتشكيلات التى كانوا يقودونها والجميع لا تربطهم أية علاقة بقياداتهم الجديدة .

(ب) تطبيق فكرة الفتح التعبوى للقوات ترتب عليه اعاقة فرص الاعتماد المتبادل والتفاهم السريع بين الافراد لعدم معرفة بعضهم بالبعض الآخر ولعدم تكاملهم الكافى مع وحداتهم .

(ج) صدر قرار فجائى بعد اعلان حالة الاستعداد بايام قليلة بانشاء قيادة جديدة تعلو المنطقة العسكرية الشرقية التى كان مقررا أن تتولى جميع المسئوليات شرق قناة السويس ولم يكن لهذه القيادة اى صلة سابقة بمسرح العمليات او خططه المعدة وبالتالى وجدت قيادة المنطقة الشرقية نفسها امام منافس خطير لم يكن فى الحسبان وبدأ ممارسة سلطاته عليها وكان رد الفعل الطبيعى هو مقاومة نفوذ القيادة الجديدة واقامة العراقيل امامها ، وهذا يبين لنا انه كان هناك غموض فى توزيع المسئولية على القيادات الكبرى وميوعة فى حسم الامور وتوجيهها وحينما صدر قرار الانسحاب من سيناء يوم ٩ يونيو وبدأت فعلا عمليات الانسحاب لم تكن القيادة الجديدة على علم بسير الاحداث فانسحبت بدورها مما اضاف الى خسائر القوات المصرية المزيد

(د) بينما كانت عملية الفتح التعبوى قائمة على قدم وساق وكانت عملية التجنيد مستمرة وأقبل آلاف الشبان من المجندين على

مراكز التجنيد المختلفة بالجمهورية ولم يكن مواقف التشكيلات الميدانية يسمح بأن تتولى أمر المجندين الجدد فتقوم بتدريبهم وادماجهم وكان من المفروض اساسا ان يحل هؤلاء المجندون محل الجنود المسرحين ولكن التسريح توقف منذ ١٩٦٧/٥/١٤ ولهذا تقرر انشاء تشكيلات جديدة من المجندين الجدد وجوبهت ادارة شئون الافراد بمشكلة توفير ضباط الصف لتدريب هؤلاء الجنود لكن هذه لم تكن بالحل فعهد الى طلبة الكلية الحربية وفعلا تولوا هذه المهمة وتوقفت الدراسة بالكليه الحربية ، وكانت النتيجة فشل الطلبة فى اداء هذه المهمة لان الطالب لم يكن قد نضج عسكريا كما كان بعيدا كل البعد عن اسلوب معاملة الجندى ولم تكن لديه الخبرة الكافية فى طريقة التخاطب مع الجنود وكل ما كان يعرفه عن قياده الجنود لم يكن يزيد عن صفحات محدودة قراها فى احد الكتب التى يدرسها ولم يفهمها ووجد نفسه مع ذلك مختلطا بالجنود فى عملهم وماكلهم ومعيشتهم وفى تفاصيل حياتهم اليومية . (الحديدى ص ١٥١ — ٢٠٠)

تتضح لنا من صورة بناء الميدان وبناء الجماعة على الجبهة المصرية فى حرب ١٩٦٧ انه لم يكن هناك وضوح فيهما وحينما حدثت الاشتباكات والهجوم الكاسح للقوات الاسرائيليه حدث العديد من المشاكل التى أشرنا اليها لم يستطع هذان البناءان مواجهتها فحدثت الخسائر المهولة فى القوات المصرية سواء على مستوى الفرق والالوية أو على مستوى الجماعات الصغرى .

رابعا : الجماعة الاولية والفرار من المعركة :

يعنى الفرار الذهاب العمدى الى خطوط العدو اما بفعل فردى أو بعد مناقشة مع الجماعة أو بدون مناقشة سابقة معها أو عن طريق اتفاق جماعى ومن ابرز امثلة الفرار فى الحرب العالمية الثانية ما تعمده الجنود الالمان من تسليم انفسهم لجنود الحلفاء لكى يأسروهم . وتم ذلك اما اثناء

القيام بعمليات الدورية او الانتظار المتعمد وراء القوات المنسحبة بوضع معين يمكن جنود الجلفاء من اسرهم . (Shills, p. 282)

والفرار من الجرائم الخطيرة التى كانت تعاقب عليها بعض الجيوش بالاعدام وهو بهذا يعتبر من اخطر التهم التى توجه للجندى فى المعركة مما يدفع الى تحويرها الى غياب الى بدون . . او اساءة التصرف فى مواجهة العدو حتى يجنب الافراد العقاب المقرر لها رفقا بهـــم (Rose, 1951, p. 614) كما ان الجنود انفسهم قد يرون أن الخوف من المعركة فى حد ذاته اساس مقبول لضرورة الرفق بهم فى جرائم الهروب (Borgatta, 1953, pp. 669–671)

وتوضح دراسات روس Ross عن الفرار من المعركة أن نســـبة الفارين تكثر بين الافراد الذين لم يتم تكاملهم بعد فى جماعتهم قبل الذهاب الى الجبهة اما لأنهم لم يكونوا اصلا فى الجماعة حينما ارسلت الى مهمتها او لاسباب أخرى ككونهم عصابيين مثلا .

اما الاسباب التى دفعت بعض الجنود المصريين الى الفرار الى خطوط العدو اثناء حرب الاستنزاف فيمكن اجمالها فيما يلى (١) .

١ ــ عدم قدرة الجندى الفار على التكيف مع الوسط المحيط به .

٢ ــ سوء المعاملة من قبل الضباط .

٣ ــ عدم وضـــوح الموقف على الجبهة واســـتمرار حالة اللاسلم واللاحرب .

٤ ــ وقوع بعض الجنود تحت تأثير الاغراء الاسرائيلى فى محاولة لتجنيدهم كعملاء مقابل وعود كثيرة لهم وما كان يحدث فعلا هو مطاردة الاسرائيليين للجنود الفارين لاجبارهم على العودة بعد أن يتمكنوا من الحصول منهم على معلومات كافية ـ

---

(١) من ملاحظات وبحوث العميد روفائيل يوسف رئيس فرع الدراسات والابحاث المعنويه فى القوات المسلحه سابقا .

٥ ــ وقوع بعض الجنود الفارين تحت تأثير الحرب النفسية التى تركز عليها القوات الاسرائيلية كظهور جنودها وهم بالشعر الطويل أووهم يأكلون مالا يستطيع الجنود المصريون الحصول عليه فى حين انه لا يتوفر لهم مثل ذلك مع تعرضهم للانضباط الشديد فى نفس الوقت .

٦ ــ كان السبب فى احدى حالات الفرار مختلفا كلية عن الاسباب السابقة وتمثلت فى رغبة الجندى الفار فى الهروب من احتمالات قتله بسبب الثأر فى بلده وتعرضـــه لهذا التهديد بالقتل فى كل اجازة ميدانية فقرر الابتعاد كلية عن هذا المناخ الى مناخ آخر.

خامسا : الجماعة الاولية والانهيارات العصبية :

١ ــ كيف تحدث الانهيارات العصبية :

الانهيارات العصبية هى احد مؤشرات عدم التكامل فى الجماعة وتنتج من الضغط المستمر الذى تتعرض له مما يضعف من تماسكها ويؤدى الى انهيار افرادها ، ويحلل الاطباء النفسيون الانهيارات العصبية فى المعركة بتعرض الجندى للتهديد بالموت أو التشويه وانه كلما ظل فترة طويلة فى المعركة كثر تعرضه للاصابات بالانهيار وتعرض الجندى للتهديد المشار اليه يجعله قلقا وفى حالة من عدم الرضا المصاحب بالاستياء والعدوانية ويوجه الجندى العادى هذه العدوانية نحو العدو الذى يعتبرة مسئولا عن الحالة التى وصل اليها وكلما قويت علاقته بجماعته وشعر بانه واحد منها وجه هذه العدوانية خارجها فيتغلب بذلك على ما ينتابه من قلق وهذا ما يسميه فورم Form بالعدوانية المنطقية أى العدوانية التى توجه نحو القوى التى هاجمت الجندى فعلا وهددت حياته وتكامله مع جماعته .

وهناك من الجنود من لا يستطيعون اطلاق عدائهم بطريقة منطقية الى مصدر القلق الذى يواجهونه وهو العدو بل يوجهونه على النقيض من ذلك الى جماعتهم أو الى انفسهم ولايساعدهم هذا العدوان على التخلص من القلق بـــل أنه يزيـــد من حدة قلقهم واذا اخلوا من المعركة وزال خطرها عنهـــم فلا يختفى العدوان ولكنه يظل موجودا وهذا ما يسمى بالعدوان العصابى .

ويظهر هذا النمط من العدوان فى مستويين : احدهما ظاهر والآخر مستتر فالجندى فى النوع الاول يتصرف صراحة ضد افراد جماعته وضد القوى التى تؤيده فهو يلوم الضباط والجيش كله والدولة التى اوقعته فى المأزق ولا يكره هذا النوع من الجنود العدو ولكنه يكره القوى التى تمثل السلطة بالنسبة اليه . (Weinstein, 1947, p. 307)

اما النوع الثانى من العدوان فان الجندى فيه يتعرض للخوف والتوتر الذى يعتبر استجابة عادية لكل الجنود فى المواقف القتالية الضاغطة ولكنه ينحى هذه الرحلة حينما يشعر بانه محاط بسلسلة من المواقف التى لاتمكنه من صياغه اى استجابة فيها نوع من الحماية لنفسه فينزلق نحو الاهتمام بذاته مركزا على الدفاع عنها ، ويصبح اثناء هذه الازمه مترددا أو حائرا ومهتزا فى اعداد نفسه لنشاط جديد ورغم هذا فانه لا يستطيع أن يفعل ذلك فتنهار عاداته العسكرية التى تعلمها ويصبح نشاطه عشوائيا واكثر اندفاعا وقبل ان ينهار يبحث عن وسيلة ليتغلب بها على ما يعانيه ويحاول تحطيم الهدف المسبب لذلك قبل أن يخضع ويستسلم ، ثم ينهار بعد ذلك ويعانى اثناء انهياره من اعراض الصداع وآلام المعدة المستمر ولا يكون قادرا على الحركة بل يتجمد فى موقفه ويعانى من افتقاد الذاكرة وشرود أو نسيان مطلق ينتج عن محاولته ابعاد الهدف عن عقله ويفقد طريقه نحو الاهداف التى سببت انهياره عن طريق هذه العملية القمعية ومن هنا يجد فى الانهيار العصبى مخرجا للصراع الذى لم يكن يجد لـه حلا مع بداية المعركة . (Weinberg, 1964, p. 472)

٢ ــ الحدود الزمنيـة للانهيـار العصبى :

حاول الاطباء النفسيون أن يضعوا حدودا زمنية يمكن أن يحدث بعدها الانهيار العصبى ، واوضحت دراساتهم ان جندى المشاة قد يصاب فى

---

* تعذر على الباحث الحصول على اى معلومات خاصة بالانهيارات العصبية التى حدثت خلال حربى الاستنزاف وما بعدها على الرغم من محاولاته مع قائد مستشفى الامراض العصبية للقوات المسلحة المصرية ومساعده وافراد امن ادارة الخدمات الطبية .

الفترة ما بين ٢٠٠ يوم الى ٤٠٠ يوم من المعركة بعجز شديد او افراط فى الحساسية عند اطلاق النار كما قد يكون حذرا بدرجة شديدة لاتشعره حتى بزميله القريب منه (Janowitz, 1965 p. 68) وقد يحدث الانهيار فى ساعات واحيانا بعد عدة شهور ويتميز الافراد الذين ينهارون بعد شهور من بدء المعركة بانهم من الافراد ذوى الكفاءة العالية ومدة الخدمة الطويلة والولاء القوى للوحدة التى ينتمون اليها وعادة ما يكونون الافراد الذين بدأ بهم تشكيل الوحدة وينهار هؤلاء الافراد حينما يحسون بأنه لم يتبق فى وحدتهم ما ينقذهم من الانهيار ومعنى هذا انهم يكونون قادرين على التكامل مع الجماعة الى ان تصل هذه الجماعة الى حالة من اللاتكامل (Weinstein, p. 89)

وقد يتأخر ظهور الاعراض العصبية الى ما بعد المعركة . ودليل ذلك ظهور هذه الاعراض عند الاسرى الالمان بعد خلاصهم من الأسر مباشرة

٣ ــ التشخيص الاولى لحالات الانهيار العصبى :

كان التشخيص الاولى لحالات الانهيار العصبى هو انها اجهاد قتالى يخلى المرضى بمقتضاه من الجبهة منعا لتكرار حدوث حالات الانهيار وكان الطبيب بمثابة ضابط فنى اكثر من كونه عنصر يعمل على علاج الحالة علاجا متقدما وكان الاخلاء يتم الى مستشفى ميدانى خلف الخطوط القتاليه ويعالج المريض على يد طبيب نفسى تقليدى غير معتاد على المواقف القتالية الفعلية ولهذا كان العلاج مركزا على الصفات الشخصية للمريض ، وغالبا ماكان الطبيب المعالج يشعر بنوع من الالتزام بعد السماح للمريض بأداء واجبات قتالية أخرى .

٤ ــ بيئة المستشفى وحالات الانهيار العصبى :

تتعاطف بيئة المستشفى عادة مع المريض وتعمل على تثبيت ردود فعله للانهيار مما يترتب عليه قلة الحالات التى تعود الى القتال مرة أخرى ويساعد الاخلاء الى الخلف فى المستشفى على احساس المريض بخطورة حالته وثبات اعراضها وبعدم القدرة على اداء الواجبات القتالية ، وتعوق بيئة المستشفى عودة المريض الى الجبهة لأن المريض فيها ينضم الى جماعة اولية تختلف

من جماعته الاولية فى الجبهة فالاخيرة كانت توجه عدوانها الى الادارة العسكرية والاطباء المعالجين اذ أن المصابين يكونون حينئذ مرضى وليسوا جنودا لانهم قد تخلوا عن ملابسهم القتالية وارتدوا بدلا منها ملابس المرضى وتغيرت مكانتهم بناء على ذلك وهذا لا يسبب لهم اى احساس بالفشل ولكنه قد يعزز فيهم مشاعر الذنب لتخليهم عن زملائهم بالجبهة .

٥ ــ ادراك الاطباء النفسيين لأهمية الجماعة الاولية لعلاج حالات الانهيار العصبى . (Mandelbalum, 1954) p. 5.)

كان الاطباء النفسيون مهتمين بالبحث عن المصادر التى تجعل الجنود قادرين على مواجهة الضغوط التى يواجهونها لفترة طويلة وتبين لهم من خلال ملاحظاتهم أن العامل الاساسى الذى يمكن الجنود من مقاومة الضغوط القتالية الشديدة هو جماعتهم الاولية ممثلة فى صورة اصدقاء الجندى الذين يحاربون بجانبه والذين تعتمد حياتهم عليه وتعتمد حياته عليهم فالجندى يجد شجاعته فى هذه الجماعة ويستمد حوافز القتال منها ويستطيع مع جماعته الاستمرار فى المعركة لفترة طويلة ويصور وليام مينجر Menninger المستشار الاول للامراض العصبية فى الحرب العالمية الثانية هذه الحقيقة بقوله :

« لقد اصبح الملايين من البشر على دراية لاول مرة بأثار البيئة الاجتماعية على الشخصية واصبح هذا الامر واضحا للطبيب النفسى كما وهو واضح للعامه ، ولقد كان التركيز على دراسة الشخصية ووظيفتها خلال السنوات الاخيرة هو المدخل الاكثر انتشارا فى علاج حالات الانهيار العصبى ، أن تفسير السلوك كان يقع فى حدود التغييرات داخل الشخصية لكن الخبرة العسكرية اوضحت أنه لابد من توجيه الاهتمام الكافى للضغوط البيئيه وللوسط الاجتماعى للجندى لأن دراسته بمفرده ليست كافية لتفسير سلوكه » .

اما ريس Ress مستشار الطب النفسى بالجيش البريطانى فيقول موضحا اهمية الجماعة الاولية :

« ان على الضابط الطبيب أن يفكر فى حدود الجماعة أكثر من تفكيره فى الفرد المريض ويجب أن يكون منطلقه الاساسى هو الحفاظ على الوحدة وقوتها المؤثرة وان يعمل على تحقيق الكيفية التى تجعل رجالها قادرين على اداء واجبهم بطريقة فعالة ، وحينما يأتى اليه جندى مريض يشكو من اعراض غامضة فان عليه ان يكتب توصية بالطريقة التى تبرز دور الجماعة التى قدم منها المريض وليس المريض فى ذاته كفرد . »

ويؤكد براون Brown خبير الطب النفسى فى المستشفيات العسكرية الامريكية على ضرورة احتواء الطبيب المعالج فى البناء الاجتماعى الذى يعيش فيه المريض وعلى ضرورة فهمه لقيم وبناء المجتمع العسكرى ولدوره فيه وللتوقعات التى ينتظرها المرضى .

٦ ــ اختلاف الانهيارات العصبية باختلاف ثقافات الجماعات الاولية :

اوضحت ملاحظات الباحثين انه كان هنـــاك تغيرات فى الانهيارات العصبية تبعا للظروف الاجتماعية المختلفة تبين الجماعات الثقافية المختلفة مثال ذلك اصابة الجندى اليوغسلافى بالتشنج الهستيرى وهو احد الاعراض المرضية التى لم تكن شائعة بين الجيوش الاوربية والامريكية .

وقد اجرى وليامز Williams دراسة عن الانهيارات العصبية خلال الحملة البريطانية الهندية على بورما ، وكان كل من البريطانيين والهنود يحاربون جنبا الى جنب فى هذه الحملة ضد نفس العدو وفى نفس المناخ وبنفس المعدات وكانوا يرتدون زيا واحدا ويأخذون تدريبا متشابها ورغم ذلك فقد اختلفت معدلات الانهيار عند كل منهما فقد كانت نسبة اعراض القلق بين الجنود البريطانيين ٥١٪ بينما عند الهنود ٨٪ وكانت نسبة حـــالات الهستيريا بين الهنـــود ٥ر٣١٪ بينما قلت عن ذلك كثيرا عنـــد البريطانيين . وفسر ويليامز هـــذه العملية بالاختلاف بين الثقافة الهندية والبريطانية حول القبول الاجتماعى للخوف ، فالخوف عند الجنود البريطانيين ليس امرا محطا ويفقد الجندى بمقتضاه تأييد اصدقائه وتقديره بينهـــم ويجعله عاجزا عن ملء دوره الرسمى كجندى ودوره غير الرسمى كصديق

ولا يعنى قلة حالات القلق بين الجنـــود الهنود انهم لا يشـــــعرون به بل هم يشعرون به فى مواقف عديدة ولكنهم لا يجاهرون به ولا يقرونه .. لأن المفروض عليهم ان يستمتعوا بالقتال فالمعركة بالنسبة للجندى الهندى شرف يجب أن يسعى اليه ويمكنه ان يتعامل مع قلقه بانكاره وابا استخدام الطلاسم السحرية وبأن يعرض نفسه للجروح التى يسببها لنفسه والتى قد تخلصه من اسره .. اما اذا كان كل ذلك أمرا غير كاف .. فانه ينهار فى سلوك هستيرى لا يتضمن أية وصمة عار له . (Ibid p.6)

من هذا كله تتضح لنا الاسباب التى اعادت من اجلها الكتابات الحديثة فى الطب النفسى بحث المفاهيم الخاصه بالحالة السويه والقدرة على التوافق وزيادة اهتمامها بالقوى الاجتماعية والثقافية التى تؤثر على ممارسة الطب النفسى .

سادسا : الجماعة الاولية وظروف الأسر :

يعتبر الحفاظ على تكامل الجماعة الاولية حتى بعد انتهاء المعركة أمرا ذا اهمية عظيمة فى العمليات العســـكرية ضد العدو . وفى حالة الوقوع فى الأسر يكون تكامل الجماعة الاولية عاملا هاما فى مقاومة ضغوط وتعاليم العدو ، وأول ما يلجأ اليه العدو مع الجماعات التى يأسرها هو ان يحطم بناءها الرسمى وغير الرسمى فبمجرد وصول الاسرى الى المعســـكرات يقسمهم العدو الى تقسيمات جديدة حتى يؤكد لهم عدم فاعلية نظام جماعاتهم القديم .

ويعمل العدو على تخريب الجماعة غير الرسمية بأى نوع من المقابلات الجمعية وبتحريض من افراد الجماعة بعضهم على البعض الآخر عن طريق الاخباريين او الجواسيس الذين يعطون معلومات تفصيلية عن نشـــاط الاسرى مهما بلغت تفاهتها ثم يتم استجوابهم بناء عليها . ويؤدى هذا الاشراف التفصيلى الى فقد ثقة افراد الجماعة بعضهم فى البعض الآخر ، واذا رفض الرد على الاستجواب المطلوب منه لعدة ايام يوضح له ان احد زملائه قد اعترف بما يريدون وبهذا تستغل اعترافات الجنود لتشكيك بعضهم فى البعض وفى القيم التى يتمسكون بها .

ويلجأ العدو الى انهاك الاسرى بدنيافيامرهم بالسير لمسافات طويلة وقد لا يوفر لهم الطبيب المعالج أو الطعام الكافى أو الملابس الواقيـــة كما تشتد على الاسرى ظروف الامراض والتعرية فى المعسكرات المزدحمـــة المؤقتة ، ومن الناحية السيكلوجية يضغط العدو على الاسرى مرحبـــا بهم فى بداية الأمر مؤكدا لهم انهم قد تحرروا الان فقط وأن قادتهم مجرمو حرب وانهمبالتالى ليسوا مسئولين عن ذلك وان الذين تقع عليهم المسئولية هم القادة انفسهم ثم يعرضهم بعد ذلك لسلسلة من الخوف ومن الاشعـــار بعـــدم الاعادة للوطن ويؤكد لهم فى نفس الوقت انهم سيعودون لوطنهم بمجرد تحسن الظروف .

وهنا تكمن احد المشاكل الاساسية للاسرى وهى التفكك الاجتماعى داخل جماعتهم نفسها وصعوبة الحفاظ على ارتباطهم ببلادهم وتنافس كل منهم على الاساسيات الضرورية للحياة ويلجأ العدو لقطع خطوط السلطة فيما بينهم بنقل القادة والأفراد البارزين من معسكر لآخر .
(Schein, 1957, pp. 21–27)

ويحاول العدو ان يحصل من أفراد جماعة الاسرى على المعلومات التى يريدها عن طريق تجنيد مجمـــوعة منهم تعاونه فى الحصـــول على هـــذه المعلومات وقد حـــاول جتوليوس سيجال Segal أن يدرس خصائص المتعاونين مع العدو فى بحث اجراه على ٣٣٢٣ جنديا امريكيا اخذوا كأسرى حرب خـــلال الحرب الكورية وبعـــد أن درس تاريخهم الشخصى وجد أن خصائصهم العامة بمقارنتها بخصائص غير المتعاونين تظهرفيما يلى :

١ ــ لم يكن هنـــاك اختـــلاف بين المتعاونين وغير المتعاونين فى السن والمستوى التعليمى والدينى والموقع الجغرافى والســـلاح وطول مدة الخـــدمة .

٢ ــ ضغوط العدو وسوء معاملته من الأمور التى تؤدى الى الاستسلام لكنها نادرا ما تكون مقدمة لمشاركته .

٣ ــ ان المتعاونين مع العدو هم الذين يعيشون فى اوضـــــاع دنيا فى

مجمعاتهم ولكن هذا ليس بالضرورة فقد يتعاون مع العدو من ينتمون لاوسط أعلى وأكثر الناس ارتباطا بالعـــدو هـــم الذين قدموا من وحدات لم يتم تماسكها تماسكا اجتماعيا عاليا او الوحدات التى لم تدرب افرادها على مواقف الأسر بأن تغرس فى الجندى أنه عضو فى كيان اجتماعى كلما عظمت فاعليته عظمت مقاومته للعدو .
(Segal, J. 1957, p. 33)

ولم تختلف معاملة اسرائيل للاسرى المصريين كثيرا عما اشار اليـــه ادجار شين فقد كانت تهدف اساسا الى الحصـــــول على المعلومات امـــا بأسلوب الاقناع أو باستخدام العنف فتلجأ اولا الى محاولة اقناع الأسرى بأن اسرائيل ليست دولة معتدية ثم تعطيهم جرعات مركزة عن تاريخ اليهود وتحاول استمالتهم تحت تأثير الاغراء الجنسى والمادى واذا فشل هـــذا الأسلوب يتعرض الاسير للتعذيب . . او الضرب او يوحى اليه بذلك بأن يقوم الجنود الاسرائيليون بوضع علامة خاصة على ساقه اشارة الى انها ستبتر فيما بعد كما يسمعونه من حين لآخر اصوات تعذيب واسفائة ، واذا ادرك الاسرائيليون أن هناك احتمال بعودة الاسير يتغير اســـلوب معاملته ويصحبونه فى زيارات متعددة داخل اسرائيل فى مختلف مواقـــع العمل والانتاج والترفيه حتى يصبح داعية لاسرائيل حينما يعـــود الى مصر (١).

---

(١) من البحوث التى أشرف عليها العميد روفائيل يوسف .